جامعـــة الأزهـــر
كليــة الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق
المجلة العلميــة

قراءة نقدية في كتاب: "عيار الشعر" لابن طباطبا العلوي (ت: ٣٢٢هـ)

إعداد
د/ نهاد بنت أحمد عبد الله الملحم
الأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الملك فيصل بالأحساء

(العدد الثالث عشر)
(الإصدار الثاني١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م)
(الجزء الثاني)

علمية- محكمة- نصف سنوية

قراءة نقدية في كتاب: "عيار الشعر" لابن طباطبا العلوي (ت: ٣٢٢هـ)

نهاد بنت أحمد عبد الله الملحم

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل، الاحساء، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: Drnehadahmadalmulhim@gmail.com

ملخص:

يهدف البحث إلى استجلاء القضايا النقدية التي ناقشها كتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوي، وقد لخّص الغاية من تأليف الكتاب، ثم عرّج على أهم قضايا الكتاب النقدية، ومن أهمها: تعريف الشعر، وثقافة الشاعر مع توضيح الأدوات التي لا غنى للشاعر عنها، وصناعة الشعر أو خطوات بناء القصيدة ومراحل هذا البناء، وقضية العلاقة بين اللفظ والمعنى مع تفصيل القول في شروط المعنى الجيّد وضروب الصدق وضروب التشبيه وشروط جودة الألفاظ، وقضية وحدة البناء الفني في القصيدة، وموقفه من شعر المولّدين، ورأيه في قضية السرقات، ومراعاة المقام، ووظيفة الشعر، وتوضيحه لعيار الشعر أو علّة حسن الشعر، وتطرّقه لفن الشعر القصصي. وقد خُتم البحث بموازنة مختصرة بين مزايا الكتاب وهناته، مع التوصية بالمزيد من الدراسات النقدية الفاحصة لقضايا الكتاب ونظرات ابن طباطبا التعليمية المتفرّدة.

الكلمات المفتاحية: علّة– حُسن الشعر– ثقافة الشاعر– خطوات– بناء القصيدة.

A critical reading of the book: "The Standard of Poetry" by Ibn Tabataba Al-Alawi (d. 322 AH)

Nihad bint Ahmed Abdullah Al-Mulhim
Department of Arabic Language, College of Arts, King Faisal University, Al-Ahsa Kingdom of Saudi Arabia
Email: Drnehadahmadalmulhim@gmail.com

Abstaract:
This research aims to elucidate the criticism issues expounded in "Caliber of Poetry," a seminal work authored by Ibn Tabataba Al-Alawi. The study provides an overview of the book's purpose, contextualizing the author's motivations. The research focuses on key aspects of criticism addressed within the text, including the definition of poetry and its interplay with the poet's background, encompassing an examination of indispensable poetic tools. Additionally, the investigation delves into the poetry industry, comprehensively discussing its evolutionary stages and requisite procedural steps. Moreover, the research scrutinizes the intricate relationship between expression and meaning, meticulously detailing the conditions for achieving nuanced and compelling meanings, drawing on the usage of apt veracity, similes, and lexicons of superior quality. The analysis also encompasses the vital role of cohesive artistic structures within poems. Furthermore, the author's astute appraisal of contemporary poetry and the pervasive issue of plagiarism is examined. Additionally, the study explores the function and metrics of poetry's quality, appraising the suitability of chosen words vis-à-vis their intended purpose. Lastly, the research advocates for further critical inquiry into Ibn Tabataba's distinctive educational theory and its associated intricacies**.**

Keywords: Poem's Standard, Poet's Culture, Steps Of Building The Poem

المقدمة:

ظهر كتاب "عيار الشعر" لابن طباطبا العلوي في فترة امتازت بالثراء الفكري، وخصوبة الإنتاج النقدي؛ فالقرن الرابع فترة ثريّة تتابع فيها الإنتاج النقدي والأدبي، حيث وُلد فيها كتاب "الشعر والشعراء" لابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ)، وكتاب "البديع" و"طبقات الشعراء" لابن المعتز (ت: ٢٩٦هـ)، و"نقد الشعر" لقدامة بن جعفر (ت: ٣٣٧هـ).

لكن "عيار الشعر" له طابعه الخاصّ، ومنهجه المتفرّد؛ فصاحبه شاعر يقول الشعر ويعانيه، وقد تعامل مع الشعر كصنعة لها أدواتها، فلا غروَ أن تشيع في الكتاب روح الشاعر المـُربّي للملكات، ولا غروَ –أيضا– أن ينثر المؤلّف الشواهد بكثرة في ثنايا كتابه، ولو كان ذلك على حساب القواعد. ولذا فقد يمّمت وجهي صوب هذا الكتاب قصد سبر أغوار نظراته النقدية، وتجليته سماته ومزاياه، واستكناه مآخذه.

مشكلة البحث:

تتحدّد مشكلة هذا البحث في دراسة معايير الشعر وكتابته في فترة زمنيّة ثريّة بالأطروحات النقدية التي أسّست لكثير من القضايا والقواعد النقدية الراسخة حتى يومنا هذا، في كتاب نقدي رائد في آرائه النقدية التعليمية المتفرّدة. ويأتي هذا البحث متمّما للجهود النقدية التي أسهمت فيها الدراسات السابقة ومحاولا الإجابة عن التساؤل: ما هي أهم القضايا النقديّة التي عالجها ابن طباطبا العلوي في كتابه؟ وهل وضع للشعر معايير يستهدي الشعراء بها؟ ثم ما هي السمات – مزايا كانت أو مآخذ– التي تفرّد بها الكتاب؟

أهمية البحث وأهدافه:

وقع الاختيار على كتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوي ليكون منبعا تُستقى منه المادة النقدية التي ستُطرح في هذا البحث؛ فهي مادّة صدرت عن شاعر أولا، وناقد ثانيا، ومعلّم ثالثا. ويهدف البحث إلى التعريف الموضوعي

بالقضايا النقديّة التي طرحها ابن طباطبا في كتابه مع رفد هذه القضايا بالشواهد المستقاة من الكتاب محلّ الدراسة، مع توضيح السمات التي ميّزت ابن طباطبا العلوي في طرحه النقدي والموازنة بين المزايا والمآخذ.

حدود البحث:

- **الحدّ الزمني:** القرن الرابع الهجري.
- **الحدّ الموضوعي:** القضايا النقدية الواردة في كتاب عيار الشعر.

منهج البحث:

سيعمل البحث على دراسة القضايا النقدية في الكتاب وفق منهج وصفي تحليلي؛ لاستقراء القضايا والآراء الواردة في الكتاب، ووضعها موضع التحليل، لاستخلاص النتائج والسمات والمعايير النقدية التي اتّكأ عليها الكاتب.

الدراسات السابقة:

١- نقض عيار الشعر للآمدي. أشار إليه د. إحسان عباس في كتابه، وعدّه حلقة متمّمة لكتاب "الشعر والشعراء" لابن قتيبة.

٢- تاريخ النقد الأدبي من القرن الثاني إلى القرن الثامن الهجري للدكتور إحسان عباس.

٣- أسس النقد الأدبي في عيار الشعر للدكتور فخر الدين عامر.

٤- قضايا النقد الأدبي والبلاغة في عيار الشعر لشريف راغب علاونة.

٥- نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي للدكتور عبد السلام عبد الحفيظ عبد العال.

٦- ملامح الحداثة في عيار الشعر لابن طباطبا (أطروحة ماجستير) لآسيا دريالي.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن ينتظم في ثلة من المباحث، وهي تمثل القضايا النقدية التي عالجها ابن طباطبا في كتابة، تسبقها مقدمة، وتردفها خاتمة وفهارس. وقد جاء البحث متضمّنا المباحث التالية:

- المقدمة: وتتضمن: مشكلة البحث، وأهميته وأهدافه، وحدود البحث، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.
- التعريف بالكاتب.
- الغاية من تأليف الكتاب.
- أهم قضايا الكتاب:

١- تعريف الشعر.
٢- ثقافة الشاعر (أدوات الشعر).
٣- صناعة الشعر (خطوات بناء القصيدة).
٤- العلاقة بين اللفظ والمعنى.
٥- وحدة البناء في القصيدة.
٦- شعر المولّدين.
٧- قضيّة السرقات.
٨- مراعاة المقام.
٩- وظيفة الشعر.
١٠- عيار الشعر (علّة حُسن الشعر).
١١- الشعر القصصي.

- الخاتمة.
- المصادر والمراجع.

التعريف بالكاتب:

هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وُلد بأصبهان، وبها ترعرع، وأخذ عن علمائها وأدبائها، اشتُهر بالذكاء والفطنة وصفاء القريحة وجودة المقاصد وصحّة الذهن[١].

كَتَبَ "عيار الشعر"، وكتاب "تهذيب الطبع" وهو كتاب جمع فيه مختارات شعرية، وكتاب "العروض" الذي ذكر ياقوت أنه "لم يُسبق إلى مثله"[٢]، وكتاب في المدخل في معرفة المُعمّى من الشعر، وكتاب في تقريظ الدفاتر، وكتاب "سنام المعالي"، وكتاب "الشعر والشعراء"، وقد كتب ديوان شعره[٣].

جمع بين العلم والشعر، وكان سريع الخاطرة ينشد الشعر بديهة[٤]، روى عنه ياقوت الحموي: "وقد صادف على باب ابن رستم عثمانيَّين أسودين معتَمَّين بعمامتين حمراوين، فامتحنهما، فوجدهما من الأدب خاليَين، فدخل إلى مجلس أبي علي، وتناول الدواة [٥]والكاغد [٦]من بين يديه وكتب بديهةً:

رأيتُ بابَ الدار أسودين ذوي عمامتين حمراوين

١ معجم الأدباء، الحموي، ياقوت، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د–ت، (١٧/ ١٤٣).

٢ معجم الأدباء، (١٤٤/١٧).

٣ الفهرست، ابن النديم، تعليق الشيخ إبراهيم رمضان، ط: الثانية، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٧م، (١٦٩).

٤ عيار الشعر، العلوي، محمد بن أحمد بن طباطبا، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، ط: الثالثة، الإسكندرية، منشأة المعارف، د–ت، (١١).

٥ دواة: محبرة، وعاء الحبر. معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، أحمد مختار، ط: الأولى، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨م، (٧٩٣).

٦ الكاغد: القرطاس، أي الورق الصالح للكتابة أو اللف. معجم الغني الزاهر، أبو العزم، عبد الغني، مؤسسة الغني للنشر، (٣١٨٦).

كجمـــــرتين فـــــوق فحمتـــــين قـــد غـــادر الـــرفض قريـــري عـــين
جـــدّكما عثمـــانُ ذو النـــورين فَمالَـــــه أَنســـــلَ ظُلمتـــــين؟"[١].

وقد ألّف قصيدة حذف منها حرفيّ الراء والكاف لرجل كان يلكن بهما[٢]، وقال عن نفسه: "والله أنا أقدَرُ على أبيّ الكلام من واصل بن عطاء"[٣]، ويقول مفتخرا بعلمه:

يلومُ عليّ أنْ رحتُ في العلم راغبا أجمّـــع مـــن عنـــد الـــرواة فنونـــه
وأملـــك أبكـــار الكـــلام وعُونَـــه وأحفـــظ ممّـــا أســـتفيد عيونـــه[٤].

توفي في بلدة أصبهان عام اثنين وعشرين وثلاثمائة للهجرة، وله عَقِب كثير، فيهم علماء وأدباء ومشاهير[٥].

الغاية من تأليف الكتاب:

أعلن ابن طباطبا في مستهلّ كتابه أنه يهدف إلى تعليم من يملك موهبة الشعر، فيأخذ بيده كي يستطيع أن يُخرج قصائده منقّحة خالية من الأخطاء، وقد سَرَت روح المعلّم في كتابه؛ فهو يبسّط مادّته التي يعرضها دون تعمّق في القواعد الفلسفية الشائعة في عصره[٦]. يقول: "فهمتُ –حاطك الله– ما سألتَ أن

---

١ معجم الأدباء ،(١٥٣/١٧، ١٥٤).
٢ معجم الأدباء، (١٤٥/١٧).
٣ معجم الأدباء، (١٧/ ١٤٦).
٤ معجم الأدباء، (١٧/ ١٥٠).
٥ معجم الأدباء، (١٧/ ١٤٣).
٦ عيار الشعر، (١٩).
وانظر: نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي، عبد العال، عبد السلام عبد الحفيظ، مصر، دار الفكر العربي، د–ت، (١١٨).
و: دراسات في النقد العربي القديم، عثمان، عبد الفتاح، ط: الأولى، دبي، دار القلم، ١٩٩٥م، (١٤٩).

أصفه لك من علم الشعر، والسبب الذي يُتوصّل به إلى نظمه، وتقريب ذلك على فهمك، والتأنّي لتيسير ما عسر منه عليك. وأنا مُبيّن ما سألت عنه، وفاتح ما يستغلق عليك منه، إن شاء الله تعالى"[١]. ومن هنا أراد أن يضع للشعر عيارا، ويعني بالعيار: علّة الشعر، أي: " العوامل التي بواسطتها يمكننا التمييز بين جيد الشعر ورديئه"[٢].

أهم قضايا الكتاب:

١- تعريف الشعر.

يقول ابن طباطبا: "الشعر –أسعدك الله– كلام منظوم، بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم، بما خُصّ به من النظم الذي إن عُدل عن جهته مجّته الأسماع، وفسد على الذوق. ونظمه معلوم محدود، فمن صحّ طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغنِ عن تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذق به، حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلّف معه"[٣].

الشعر عنده "كلام منظوم"، والفرق بينه وبين النثر يكمن في النظم، وهذا فارق شكليّ، يركّز على الجانب الموسيقي فقط، ويتناسى دور الخيال والعاطفة في الشعر[٤].

---

١ عيار الشعر، (٤١).

٢ في النقد الأدبي القديم، عمر، مصطفى علي، ط: الثانية، الإسكندرية، دار المعارف، ١٩٩٠م، (٩١).

٣ عيار الشعر، (٤١).

٤ تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، عباس، إحسان، ط: الثانية، عمّان، دار الشروق، ١٩٩٣م، (١٢٢).
وانظر: في النقد الأدبي القديم، (٩٢). و: دراسات في النقد العربي القديم، (١٥٠).

وقوله: "بائنٌ عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم" يحتمل أنه يفرّق بين الشعر والكلام الجاري عل ألسنة الناس، ولا يفرّق بينه وبين النثر الفني[١]، ولكني أعتقد أن قوله: "بما اختصّ به من النظم" يوحي بأن للشعر صورة موسيقية معروفة تميّزه عن شتى فنون النثر، وأن عنصر الموسيقى جزء من البناء التعبيري الشعري من وجهة نظره[٢].

"ونظمه معلوم محدود": معرفة موسيقى الشعر ترتكز على موهبة الشاعر وطبعه؛ فمن أوتي صحّة الطبع والذوق استغنى عن تعلّم العروض، ومن حُرم الطبع لم يستغن عن العروض[٣]. وكأنه بذلك يشير إلى وضع الخليل بن أحمد لعلم العروض؛ فهذا العلم –في نظره– لا يفيد الشاعر إذا تهيّأ لعمل قصيدة – طبعًا وموهبة–؛ لأن النظم يتولّد مع الشعر في ذهن الشاعر[٤]، وهذا يختلف مع دعوته إلى التسلّح بأدوات الشعر، والإلمام بجوانب الثقافة التي يجب أن يستعين الشاعر بها[٥].

٢–ثقافة الشاعر (أدوات الشعر).

يقول: "وللشعر أدوات يجب إعدادها قبل مراسه، وتكلّف نظمه. فمن تعصّت عليه أداة من أدواته، لم يكمُل له ما يتكلّفه منه، وبان الخلل فيما ينظمه، ولحقته العيوب من كلّ جهة"[٦]. ومعنى هذا أن الشعر لا يعتمد على الطبع

---

١ عيار الشعر، (٢١).

٢ عيار الشعر، (٢٢).

٣ في النقد الأدبي القديم، (٩٢).

٤ عيار الشعر، (٢٢). وانظر: نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي، (٢٢٧).

٥ دراسات في النقد العربي القديم، (١٥٠).

٦ عيار الشعر، (٤١، ٤٢).

والذوق فحسب؛ بل لابدّ من ثقافة تُنضج الملكة الشعرية، وأدوات لا غنى للشاعر عنها[١]، وهي:

١- أدوات لُغويّة تتصّل بالمقدرة التعبيرية[٢]: "فمنها التوسّع في علم اللغة، والبراعة في فهم الإعراب"[٣].

٢- ثقافة عامّة تفيد الشاعر في موضوعاته ومعانيه[٤]: "والرواية لفنون الآداب، والمعرفة بأيام الناس وأنسابهم، ومناقبهم ومثالبهم"[٥].

٣- أدوات فنيّة تتعلّق بسبل إتقان الشعر[٦]: "والوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر والتصرّف في معانيه، وفي كلّ فن قالته العرب فيه، وسلوك سبلها ومناهجها في صفاتها ومخاطباتها وحكاياتها وأمثالها"[٧]. دعوة تعليمية تصرّح بأن الشاعر عليه أن يتّبع مذاهب العرب في نظم الشعر، ويتقيّد بالموروث، ولا يحيد عن تقاليد العرب الفنيّة، راسما بذلك طريقا محدّدا، لا يتغيّر بتغيّر البيئة والزمن[٨]، يقول: "وقد جمعنا ما اخترناه من أشعار الشعراء الشعراء في كتاب سمّيناه: "تهذيب الطبع"، يرتاضُ مَن تعاطى قول الشعر بالنظر فيه، ويسلك المنهاج الذي سلكه الشعراء، ويتناول المعاني اللطيفة

---

١ دراسات في النقد العربي القديم، (١٥١). وانظر: الفكر النقدي والأدبي في القرن الرابع الهجري، خفاجي، محمد عبد المنعم، رابطة الأدب الحديث، د٠ت، (٤٣). تاريخ النقد الأدبي عند العرب، (١٢٢).

٢ عيار الشعر، (٢٣).

٣ عيار الشعر، (٤٢).

٤ عيار الشعر، (٢٣).

٥ عيار الشعر، (٤٢).

٦ عيار الشعر، (٢٤).

٧ عيار الشعر، (٤٢، ٤٣).

٨ دراسات في النقد العربي القديم، (١٥١). تاريخ النقد الأدبي عند العرب، (١٢٢).

كتناولهم إياها، فيحتذي على تلك الأمثلة في الفنون التي طرقوا أقوالهم فيها"[١]. وكان ابن طباطبا يحثّ الشاعر المبتدئ على الحفظ والرواية؛ لِما لهما من أثر في تهذيب الطبع، وتربية الذوق، وهو معلّم عصري، نفض عن عقله غبار التعصّب، وأدرك أن الشعر المُحدَث جدير -هو أيضا- بالحفظ[٢]. يقول: "فهذه الأشعار وما شاكلها من أشعار القدماء والمحدثين أصحاب البدائع والمعاني اللطيفة الدقيقة تجب روايتها والتكثّر لحفظها"[٣].

هذا ويعدّ ابن طباطبا من أوائل النقاد الذين نوّهوا بأهمية تحرّر الأديب من المحفوظ، مؤمنا بتلازم ملكتيّ الحفظ والتناسي في تكوين أصالة الأديب[٤]. يقول: "ويذهب في ذلك إلى ما يُحكى عن خالد بن عبد الله القسري، فإنه قال: حفّظني أبي ألف خطبة ثم قال لي تناسَها، فتناسيتها؛ فلم أرِد بعد ذلك شيئا من الكلام إلا سهل علي"[٥]. إن الدعوة إلى التناسي تتجاهل إنسانيّة الشاعر، كما أن الأصالة لا تتعارض أبدا مع الحفظ[٦]، ولعل في الحيل التي أسرّها ابن طباطبا للمولّدين كي يتحرّزوا من السرقة المكشوفة ما يدلّل على إدراك الشاعر ابن طباطبا صعوبة تناسي المحفوظ[٧].

---

١ عيار الشعر (٤٥).

٢ ثقافة الشاعر دراسة في تراثنا النقدي، عبد العزيز، ربيع محمد، ط: الأولى، الفيوم، دار الفتح، ١٩٩٧م، (٩، ١٠).

٣ عيار الشعر، (١٠٤).

٤ ثقافة الشاعر، (٢٢، ٢٣).

٥ عيار الشعر، (٤٨).

٦ للمزيد انظر: ثقافة الشاعر، (٢٤).

٧ عيار الشعر، (٤٦: ٤٨).

٣-صناعة الشعر (خطوات بناء القصيدة).

يقدّم ابن طباطبا نصيحته لمن يريد نظم الشعر بقوله: "فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يردي بناء الشعر عليه في فكره نثرا، وأعدّ له ما يلبّسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس له القول عليه. فإذا اتّفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته، وأعمل فكره في شغل القوافي بما يقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعر أو ترتيب لفنون القول فيه، بل يعلّق كل بيت يتفق له نظمه، على تفاوت ما بينه وبين ما قبله، فإذا كملت له المعاني، وكثرت الأبيات، وفّق بينها بأبيات تكون نظاما لها، وسِلكا جامعا لما تشتّت منها. ثم يتأمّل ما قد أدّاه إليها طبعه، ونتجته فكرته، فيستقصي انتقاده، ويرمّ ما وَهَى منه..."[١]. هذا النص يمثل مراحل صناعة الشعر عند ابن طباطبا، وهي:

١- استحضار الفكرة في شكل نثري.

٢- إعداد الألفاظ، ومواءمتها مع الوزن والقوافي.

٣- صياغة الأفكار الجزئيّة في أبيات مستقلّة من غير تنسيق ولا ترتيب.

٤- جمع أبيات القصيدة في "سلك جامع لما تشتّت منها".

٥- تنقيح القصيدة، ورمّ ما وَهَى من الألفاظ والقوافي والمعاني[٢].

هذه الخطوات تمثّل ابتعادا عن فكرة الطبع التي نادى بها في بداية كتابه؛ فهي تُسلسل الإبداع، وتحدّه بحدود مرحليّة. الغرابة تكمن في أن هذه المراحل المقنّنة صدرت عن رجل خاض غمار الشعر، وأدرك أن القصيدة تترجم حالة

---

١ عيار الشعر، (٤٣).

٢ نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي، (٢٠٣). دراسات في النقد العربي القديم، (١٥٤). في النقد الأدبي القديم، (٩٥).

تتّحد فيها قوى الإدراك والانفعال والخيال في آن[١]، وإن كان قوله: "ثم يتأمّل ما قد أدّاه إليه طبعه، ونتجته فكرته"[٢] يفيد بأن الشعر عنده نتاج طبع وموهبة، يؤازرها إدراك ودربة، ومراجعة وتهذيب[٣].

وقد أبرز ابن طباطبا أهميّة التجويد في صنع القصيدة، إذ يشترط التنقيح والمراجعة حتى يطمئن الشاعر على جودة شعره؛ فالشاعر -عنده- كالنسّاج والنقّاش وناظم الجوهر: صانع يشكّل مادة صناعته كغيرها من المواد المحسوسة[٤]. يقول: " ويكون كالنسّاج الحاذق... وكالنقّاش الرفيق... وكناظم الجوهر"[٥].

٤-العلاقة بين اللفظ والمعنى.

يقول ابن طباطبا: "والشعر هو ما إن عرى من معنى بديع لم يعرِ من حُسن الديباجة، وما خالف هذا فليس بشعر"[٦]. وهو -بهذا القول- يقسّم الشعر إلى:

١- قسم بديع المعنى حَسَن الديباجة.

٢- يليه بديع المعنى الخالي من حُسن الديباجة.

٣- ثم حَسَن الديباجة الخالي من بديع المعنى[٧].

---

١ دراسات في النقد العربي القديم، (١٥٤، ١٥٥). تاريخ النقد الأدبي عند العرب، (١٢٤).

٢ عيار الشعر، (٤٣).

٣ نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي، (٢٠٣).

٤ نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي، (٢٠٣). دراسات في النقد العربي القديم، (١٥٦).

٥ عيار الشعر، (٤٣).

٦ عيار الشعر، (٥٥).

٧ عيار الشعر، (٥٢).

وقد صوّر العلاقة بين اللفظ والمعنى بقوله: "وللمعاني ألفاظ تشاكلها، فتحسن فيها وتقبح في غيرها، فهي لها كالمعرض للجارية الحسناء، التي تزداد حسنا في بعض المعارض دون بعض"[١]، " والكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه. كما قال بعض الحكماء: للكلام جسد وروح، فجسده النطق وروحه معناه"[٢]. في الصورة الأولى تبدو العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة عارضة؛ فقد يتحقّق وجود أحد العنصرين على انفراد، مما جعل هذا التشبيه عرضة للنقد؛ إذ يتنافى مع الواقع التعبيري[٣]. لكن الصورة الأخرى تربط بين العنصرين برباط حيوي لا يبطل أثره؛ فكل تغيير في المعنى يتبعه تغيير في اللفظ، والعكس –أيضا– صحيح[٤].

ويذكر ابن طباطبا صفات تتّصل بالشعر من ناحية اللفظ والمعنى فيقول: "فمِنَ الأشعار أشعار محكمة متقنة أنيقة الألفاظ حكيمة المعاني، عجيبة التأليف، إذا نُقضت وجُعلت نثرا لم تبطل جودة معانيها، ولم تفقد جزالة ألفاظها. ومنها أشعار مموّهة مزخرفة عذبة. تروق الأسماع والأفهام إذا مرّت صفحا، فإذا حُصّلت وانتُقدت، بُهرجت معانيها، وزُيّفت ألفاظها"[٥]. وبناء على هذا النصّ يكون يكون للشعر نوعان: نوع مُحكم اللفظ والمعنى كالقصور المشيّدة الباقية على الدهر، وآخر فيه بهرجة تروق الأسماع والأفهام للوهلة الأولى لكن زيفها سرعان ما ينكشف كالخيام التي تنتشلها الرياح بكل سهولة[٦].

---

١ عيار الشعر، (٥٦).

٢ عيار الشعر، (٤٨).

٣ نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا، (٢٤٦). دراسات في النقد العربي القديم، (١٥٨).

٤ نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا، (٢٤٧).

٥ عيار الشعر، (٤٥).

٦ عيار الشعر، (٤٥).

وقول ابن طباطبا: "إذا نُقضت وجُعلت نثرا لم تبطل جودة معانيها" فيه نظر؛ فالشعر إذا انتقض يفقد ميزة مهمة –لم يغفلها ابن طباطبا في تعريفه للشعر– وهي الموسيقى –داخلية وخارجية–، والتي عبّر عنها بقوله: "كلام منظوم"[١].

وتبرز روح الناقد المعلّم عندما فصل ابن طباطبا بين عنصري اللفظ والمعنى المتآلفين؛ لاستبيان عناصر الجودة وأسبابها في كل من اللفظ والمعنى[٢]:

أ– شروط المعنى الجيّد:

١–صحّة المعنى، والعدل، وعدم المغالاة أو الخروج عن حدود الفهم المقبولة[٣].

يقول: "والفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحقّ... فإذا اجتمع للفهم مع صحّة وزن الشعر صحّة المعنى وعذوبة اللفظ، فصفا مسموعه ومعقوله من الكدر تمّ قبوله له، واشتماله عليه"[٤]، ويسير على هذا الأساس في نقده للشعر: "ومن الأبيات التي قصّر فيها أصحابها عن الغايات التي أُجروا إليها، ولم يسدّوا الخلل الواقع فيها معنى ولفظا...

لو يقومُ الفيلُ أو فيّالُهُ زلَّ عن مثلِ مقامي وزَحَلْ.

وليس للفيّال مثلُ أيْدِ الفيل فيذكره"[٥]، فلبيد العامري أراد أن يفاخر بأنه أقوى أقوى من الفيل، فإذا به يضرب المثل بالفيل وفيّاله، والعقل لا يضع قوّة الفيّال بمنزلة قوّة الفيل[٦].

---

١ دراسات في النقد العربي القديم (١٥٧).

٢ نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا، (٢٥٤). دراسات في النقد العربي القديم، (١٦٠).

٣ عيار الشعر، (٢٦). نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا، (٢٥٩).

٤ عيار الشعر، (٥٢، ٥٣).

٥ عيار الشعر، (١٣٣، ١٣٤).

٦ نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي، (٢٦٠).

٢- ويترتّب على الشرط السابق عدم التناقض في جزئيات الصورة الواحدة أو الفكرة المفردة[١]. يقول: "وكقول النابغة الذبياني:

ماضي الجنانِ أخي صبرٍ إذا نزلتْ حــربٌ يوائِــلُ منهــا كــلُّ تِنبــالِ

التِّنبال: القصير من الرجال، فإن كان كذلك فكيف صار القصير أولى بطلب الموئل من الطويل، وإن جعل التِّنبال الجبان فهو أعيب لأن الجبان خائف وجِل، اشتدّت به الحبر أم سكنتْ"[٢]. والتناقض مصدره كلمة: تِنبال؛ فالشاعر يمدح شجاعا يستبسل في الحروب، ويكلّف خصومه عناء البحث عن الموئل، والتِّنبال –قصيرا كان أم جبانا– يتناقض ومعنى الشجاعة[٣].

٣- الصّدق: ولابن طباطبا في الصدق آراء متفرّدة، لم تأخذ حقّها من الدراسة والبحث. يحرص ابن طباطبا على الصدق، وهو عنده صدق فني قائم على التعبير عمّا في النفس. يقول: "فإذا وافقت هذه المعاني هذه الحالات، تضاعَف حُسن موقعها عند مستمعها، لاسيّما إذا أُيّدت بما يجذب القلوب من الصدق عن ذات النفس بكشف المعاني المختلجة فيها، والتصريح بما كان يُكتم منها، والاعتراف بالحقّ في جميعها"[٤]. الواقع النفسي مُقدّم عند ابن ابن طباطبا على الواقع الخارجي، وما نبع من القلب لا يضلّ طريقه إلى القلب: "وقال عليه السلام: "ما خرج من القلب وقع في القلب وما خرج من اللسان لم يتعدّ الآذان" فإذا صدق ورود القول نثرا ونظما [على الفهم] أثلج صدره"[٥].

---

١ نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي، (٢٦٤).

٢ عيار الشعر، (١٣٧).

٣ نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا، (٢٦٦).

٤ عيار الشعر، (٥٥).

٥ عيار الشعر، (٥٣، ٥٤). وللمزيد انظر: نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا، (٢٨٢).

- **ضروب الصدق عند ابن طباطبا:**

١- الصدق الفني، وهو ما عبّر عنه بالقول آنف الذكر: "الصدق عن ذات النفس".

٢- صدق التجربة الإنسانية، وقد عبّر عنه بقوله: "أو تودَع حكمة تألفها النفوس، وترتاح لصدق القول فيها وما أتت به التجارب منها"[١].

٣- الصدق التاريخي، وعبّر عنه بقوله: "والذي يحتمل فيه بعض هذا إذا ورد في الشعر هو ما يضطر إليه الشاعر عند اقتصاص خبر أو حكاية كلام، إن أُزيل عن جهته لم يَجُزْ، ولم يكُنْ صدقا"[٢].

٤- الصدق الأخلاقي، وقد عدّه ابن طباطبا من ضروب الصدق في الشعر في قوله: "ومع هذا فإنّ مَن كان قبلنا في الجاهلية الجهلاء، وفي صدر الإسلام، من الشعراء كانوا يؤسّسون أشعارهم في المعاني التي ركّبوها على القصد للصدق فيها مديحا وهجاء، وافتخارا، ووصفا، وترغيبا، وترهيبا"[٣]. وقد اهتمّ ابن طباطبا بالمحتوى الأخلاقي للشعر على المستوى التطبيقي، يقول في باب: الأشعار المُحكمة والمُتقنة: " وكقول عديّ بن زيد التميمي:

كَفَــى واعِظًــا للمــرءِ أيّــامُ دهــرِهِ تَــرُوحُ لــه بالواعِظــاتِ وَتَغتَــدي...

فهذه الأشعار وما شاكلها من أشعار القدماء والمحدثين أصحاب البدائع والمعاني اللطيفة الدقيقة تجبُ روايتها والتكثّر لحفظها"[٤].

---

١ عيار الشعر، (١٦٠).

٢ عيار الشعر، (٨٣).

٣ عيار الشعر، (٤٧).

٤ عيار الشعر، (١٠٢، ١٠٤).

٥- صدق التشبيه[١]، وهو يدعو إليه في مثل قوله: "فشبّتهُ الشيءَ بمثله تشبيها صادقا على ما ذهبت إليه في معانيها التي أرادتها"[٢]، وقوله: "فما كان من التشبيه صادقا قلتَ في وصفه كأنّه أو قلتَ ككذا..."[٣].

وأحسن التشبيهات عنده "ما إذا عُكس لم ينتَقِضْ، بل يكون كلّ مشبّه بصاحبه مثلَ صاحبه، ويكون صاحبُه مثلَه مشتبها به صورة ومعنى"[٤]. وهو -بهذا القول- يقيّد حريّة الخيال والإبداع الشعري، ويناقض دعوته إلى الصدق الفني، وقد كان يتمسّك بوجه الشبه القريب، وينفر من الإيغال في المجاز والاستعارة[٥]. يقول: "وينبغي للشاعر أن يجتنب الإشارات البعيدة والحكايات الغَلِقة، والإيماء المُشكَل، ويتعمّد ما خالف ذلك، ويستعملُ من المجاز ما يقارب الحقيقة، ولا يبعد عنها... فمن الحكايات الغَلِقَة والإشارات البعيدة قول المثقّب في وصف ناقته:

تقولُ وقد درأتُ لها وضيني أهذا دينُه أبدًا ودِيني

أكلّ الدّهرِ حِلٌّ وارتِحالٌ أَمَا يُبقي عليَّ ولا يَقيني

فهذه الحكاية كلّها عن ناقته من المجاز المُباعِد للحقيقة"[٦].

---

١ للمزيد حول ضروب الصدق انظر: دراسات في النقد العربي القديم، (١٧٦، ١٧٧). و: تاريخ النقد الأدبي عن العرب، (١٣٠، ١٣٢).

٢ عيار الشعر، (٤٩).

٣ عيار الشعر، (٦٢).

٤ عيار الشعر، (٤٩).

٥ دراسات في النقد العربي القديم، (١٧٥).

٦ عيار الشعر، (١٥٨).

- **ضروب التشبيه:**

فصّل ابن طباطبا القول في ضروب التشبيه، مستعينا بنماذج شعرية كثيرة، تجعل من هذا الباب مبحثا بلاغيا ماتعًا، وإن كان قد اقتصر على ضروب التشبيه الحسيّ. وضروب التشبيه –وفق ما جاء في الكتاب– هي:

١– تشبيه الشيء بالشيء صورةً وهيئة. "كقول امرئ القيس:

كـأَنّ قلـوبَ الطيـرِ رطْبًـا ويابِسًـا لَدَى وكرها العنّاب والحَشف البالي"[١].

٢– تشبيه الشيء بالشيء لونا وصورة. "كقول امرئ القيس القيس يصف الدرع:

ومسـرودَةَ السَّـكِّ مَوضـونةً[٢] تضـاءلُ فـي الطـيّ كـالمبرَد

تَفـيضُ علـى المـرءِ أردانُهـا[٣] كَفيضِ الأتـيِّ[٤] على الجُدجُدِ"[٥].

الجُدجُـــــــــــــــدِ"[٥].

٣– تشبيه الشيء بالشيء صورة ولونا وحركة وهيئة. "كقول امرئ القيس:

جمعتُ رديـنيًّا كأنّ سنانَهُ سَنَا لهبٍ لم يتّصل بدخانِ"[٦].

٤– تشبيه الشيء بالشيء حركةً وهيئة. "كقول الأعشى:

غـرّاءُ فرعـاءُ مَصـقولٌ عَوارِضُـها تَمشي الهُوَينى كما يمشي الوَجَى الوَجِلُ

كـأنّ مِشـيتَها مـن بيـتِ جارتِهـا مـرُّ السّـحابَةِ، لا رَيـثٌ، ولا عَجَـلُ"[٧].

---

١ عيار الشعر، (٥٦).

٢ موضونة: منسوجة. لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر، د–ت، (١٣/ ٤٥٠).

٣ الردن: الكم، يقال: قميص واسع الردن، والجمع أردان. لسان العرب، (١٣/ ١٧٧).

٤ الأتيّ: النهر يسوقه الرجل إلى أرضه، وكل مسيل سهّلته لماء أتيّ، وهو السيل يأتي من بعيد. لسان العرب، (١٤/ ١٤).

٥ عيار الشعر، (٥٧). والجُدجُد: الأرض الصلبة الغليظة. لسان العرب (٣/ ١٠٩).

٦ عيار الشعر، (٥٧، ٥٨).

٧ عيار الشعر، (٥٩).

٥- تشبيه الشيء بالشيء معنًى لا صورة. "كتشبيه الجواد كثير العطاء بالبحر"[١].

٦- تشبيه الشيء بالشيء حركةً وبطئًا وسرعة. "كقول امرئ القيس:

مِكَرّ مِفَرّ مُقبِلٍ مُدبِرٍ معًا كجلمودِ صخرٍ حطّهُ السيلُ من عَلِ"[٢].

٧-تشبيه الشيء بالشيء لونًا. "كقول حميد بن ثور:

والليلُ قدْ ظَهَرَت نحيزتُه[٣] والشمسُ صفراء كالورْسِ[٤]"[٥].

٨- تشبيه الشيء بالشيء صوتًا. "كقول الشمّاخ:

إذا أنبض[٦] الرّامون[٧] عنها ترنّمَت تَرَنُّمَ ثكلى أَوجَعَتها الجنائِزُ"[٨].

ترنّمَت

ب-الألفاظ:

يوجب ابن طباطبا التناسب بين اللفظ والمعنى، فبعد أن يجد الشاعر المعنى الذي سيبني عليه قصيدته؛ ينصحه ابن طباطبا بقوله: "وأعدَّ له ما يُلَبّسُهُ إيّاه من الألفاظ التي تطابقه"[٩]. وقد نبّه إلى أن العلاقة بينهما علاقة تأثّر وتأثير:

---

١ عيار الشعر، (٦٠).

٢ عيار الشعر، (٦٤، ٦٥).

٣ النحيزة: الطبيعة. نحيزة الرجل: طبيعته، وتُجمع على نحائز. لسان العرب، (٥/ ٤١٥).

٤ الورس: شيء أصفر مثل اللطخ يخرج على الرمث بين آخر الصيف وأول الشتاء إذا أصاب الثوب لوّنه، وثوب وَرِس ووارِس ومُوَرَّس ووَريس: مصبوغ بالوَرس، وأصفر وارس: أي شديد الصفرة. لسان العرب، (٦/ ٢٥٤).

٥ عيار الشعر، (٦٦).

٦ أنبض: حرّك. أنبضته الحمّى: هزّته وأرعشته. لسان العرب، (٧/ ٢٣٥).

٧ الرّامي: من حرفته الرماية. والجمع: الرامون. لسان العرب، (١٤/ ٣٣٥).

٨ عيار الشعر، (٦٧).

٩ عيار الشعر، (٤٣).

وتأثير: "وللمعاني ألفاظٌ تُشاكلها، فتحسن فيها وتقبح في غيرها... وكم من معنًى حسن قد شين بمعرضه الذي أُبرز فيه، وكم من معرضٍ حسن قد ابتُذِل على معنى قبيح أُلبِسه"[١].

- **ويشترط لجودة الألفاظ:**

١- السلامة من الخطأ واللحن. يقول: "فإذا كان الكلام الوارد على الفهم منظوما، مُصفّى من كَدَر العيّ، مُقَوَّمًا من أَودِ الخطأ واللحن... اتّسعت طُرُقه، ولَطُفت موالِجُه"[٢].

٢- الدقّة في التعبير. فللكلمة موضعها الذي لا يجوز تغييره، أو الزيادة عليه. يقول: " وللمعاني ألفاظ تشاكلها، فتحسن فيها وتقبح في غيرها"[٣]، ولذا فإنه لا يرتضي قول أبي ذؤيب:

"**ولا يُهنئ الواشين أن قد هَجَرتُها وأظلَمَ دوني ليلُها ونهارُها**

كان ينبغي أن يقول: وأظلم دونها ليلي ونهاري"[٤]؛ لأن الشاعر يعبّر عن شعوره بعد هجر محبوبته، وقد خانه التعبير، وقَصُر به عن بلوغ غايته[٥].

٣- سهولة التعبير. يقول: فإذا اجتمع للفهم مع صحّة وزن الشعر صحّة المعنى وعذوبة اللفظ... تمّ قبوله له"[٦]. وهو يُعجب كثيرا بالسلاسة والسهولة، ويُكثر من نماذج الأشعار المُحكَمة والمُتقَنة، كمثل قوله" "فمن الأشعار المُحكَمة المُتقَنة المُستوفاة للمعاني، الحسنة الرصف، السلسة الألفاظ... قول زهير:

سئِمتُ تكاليفَ الحياةِ وَمَن يَعِشْ ثمانينَ حَولًا لا أَبَا لَكَ يَسأَمِ"[٧].

---

١ عيار الشعر، نفسه (٤٦).

٢ عيار الشعر، (٥٢). وانظر: نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي، (٣٤٧).

٣ عيار الشعر، (٤٦).

٤ عيار الشعر، (١٣٥).

٥ نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي، (٣٥٠).

٦ عيار الشعر، (٥٣).

٧ عيار الشعر، (٨٩). وللمزيد انظر: نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا، (٣٦٠).

٤- أن تكون الألفاظ من نمط واحد. يقول: "وكذلك الشاعر إذا أسّس شعره على أن يأتي فيه بالكلام البدوي الفصيح، لم يخلط به الحضريّ المولّد، وإذا أتى بلفظة غريبة أتبعها أخواتها، وكذلك إذا سهّل ألفاظه، لم يخلط بها الألفاظ الوحشية"[١].

٥- **وحدة البناء في القصيدة.**

يُعدّ ابن طباطبا من أوائل النقاد الذين دعَوا إلى ارتباط أبيات القصيدة بعضها ببعض، وتسلسل معانيها، وتوالي موضوعاتها بلطف وحسن تخلّص. يقول: "ويسلك منهاج أصحاب الرسائل في بلاغتهم، وتصرّفهم في مكاتباتهم، فإن للشعر فصولا كفصول الرسائل، فيحتاج الشاعر إلى أن يصِلَ كلامه على تصرّفه في فنونه صِلة لطيفة، فيتخلّص من الغزل إلى المديح، ومن المديح إلى الشكوى... بألطف تخلّص وأحسن حكاية، بلا انفصال للمعنى الثاني عمّا قبله"[٢].

إنّ هذا النص -وحده- كفيل بأن يُغني كتب الباحثين بدراسات عدّة؛ فالشاعر ابن طباطبا أدرك أن القصيدة -مهما تعدّدت موضوعاتها- تصدر عن تجربة شعوريّة موحّدة، فأخرج لنا هذا النص الذي يقترب كثيرا من نظرة النقاد المحدثين للوحدة الفنيّة في القصيدة. وابن طباطبا يقرّ تعدّد الأغراض في القصيدة الواحدة، لكنه تعدّد مترابط ملتحم في بناء فني موحّد، فتخرج القصيدة "كالسبيكة المفرغة، والوشي المنمنم، والعقد المنظّم"[٣]. وإن كان إلغاء الفروق بين

---

١ عيار الشعر، (٤٤).

٢ عيار الشعر، (٤٤).

٣ عيار الشعر، (٤٢).

وللمزيد انظر: الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم تاريخها وقضاياها، موافي، عثمان، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٤م، (٢٥٠).

البلاغة تطوّر وتاريخ، ضيف، شوقي، ط: الثامنة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٢م، (١٢٧).

دراسات في النقد العربي القديم، (١٦١).

نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي، (٤٣٨، ٤٣٩).

تاريخ النقد الأدبي عند العرب، (١٢٦).

الرسالة النثريّة والقصيدة مسألة فيها نظر؛ فالشعر –كما صرّح هو في كتابه– "رسائل معقودة، والرسائل شعر محلول"[١]، وإن كان ذلك لا يقلّل من قيمة إدراكه الواعي لبناء القصيدة[٢].

٦– شعر المولّدين.

يتعاطف ابن طباطبا مع الشاعر المُحدَث، ويعبّر عن أزمته قائلا: "والمحنة على شعراء زماننا في أشعارهم أشدّ منها على مَن كان قبلهم؛ لأنّهم قد سُبقوا إلى كلّ معنى بديع، ولفظ فصيح، وحيلة لطيفة، وخلابة ساحرة"[٣]. ولم يكتفِ بالتعاطف والمشاركة الوجدانية؛ فأهدى الشاعر المولّد حيلا وقوانين للأخذ من القدماء، بأسلوب تعليمي مُفصّل[٤]، مما يقود إلى القضيّة التالية.

٧– قضيّة السرقات.

الأخذ عن ابن طباطبا مشروع، بشرط التلطّف في عرض المعاني الموروثة، واستعمال الحيلة. يقول: "ولا يُغير على معاني الشعر فيودعها شعره، ويُخرجها في أوزان مخالفة لأوزان الأشعار التي يتناول منها ما يتناول، ويتوهّم أن تغييره للألفاظ والأوزان ممّا يستر سرقته، أو يوجب له فضيلة، بل يُديم النظر في الأشعار التي اخترناها لتلتصق معانيها بفهمه، وترسُخُ أصولها في قلبه، وتصير موادّا لطبعه"[٥].

---

١ عيار الشعر، (١١٤).

٢ تاريخ النقد الأدبي عند العرب، (١٢٥). دراسات في النقد العربي القديم، (١٦١).

٣ عيار الشعر، (٤٧).

٤ تاريخ النقد الأدبي عند العرب، (١٢٦). دراسات في النقد العربي القديم، (١٦٣). الفكر النقدي والأدبي في القرن الرابع الهجري، (٤٤).

٥ عيار الشعر، (٤٧، ٤٨).

وهذا رأي قيّم، يدعو إلى تحويل الموروث لزاد ثقافي، يستلهمه الشاعر، فتتعمّق من خلاله طاقته التعبيريّة. لكنّه –في الوقت نفسه– يتساهل في التغاضي عن أصالة الشاعر وذاتيّته –التي دعا إليها في غير موضع من كتابه– عندما وجّه الشعراء إلى طرق السرقة غير المكشوفة في مثل قوله: "وإذا تناول الشاعر المعاني التي سُبق إليها فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها، لم يُعَبْ بل وَجَبَ له فضل لطفه وإحسانه فيه"[١]، فيكفي –هاهنا– أن تُكسا المعاني المأخوذة بألفاظ أجمل كي يكون الشاعر المولّد متفضّلا ومُحسنا، وكما في مثل قوله: "ويحتاج من سلك هذه السبيل إلى إلطاف الحيلة وتدقيق النظر في تناول المعاني واستعارتها وتلبيسها، حتى تخفى على نُقّادها والبصراء بها... فيستعمل المعاني المأخوذة في غير الجنس الذي تناولها منها... وإن وَجَد المعنى اللطيف في المنثور من الكلام، أو في الخطب والرسائل فتناوله، وجعله شعرا كان أخفى وأحسن"[٢]. هذه النصيحة بالاتّكاء على النقل من الخطب والرسائل، والتحايل على المعاني ووضع بعضها مكان بعض تُقصي ذاتيّة الشاعر ولا تنظر لها بعين الاعتبار[٣].

٨– مراعاة المقام.

ينبغي أن يكون الشعر مطابقا لظروف المستمع ومقتضى الحال[٤]، فهو يوجّه الشاعر إلى أن "يتعمّد الصدق والوفق في تشبيهاته، وحكاياته، ويُحضر لبّه

---

١ عيار الشعر، (١١٢).

٢ عيار الشعر، (١١٣، ١١٤).

٣ دراسات في النقد العربي القديم، (١٦٣، ١٦٦). الفكر النقدي والأدبي في القرن الرابع الهجري، (٤٧). نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي، (٢٩٧). البلاغة تطور وتاريخ، (١٢٦).

٤ دراسات في النقد العربي القديم، (١٦٨).

عند كل مخاطبة ووصف، فيخاطب الملوك بما يستحقونه من جليل المخاطبات، ويتوقّى حطّها عن مراتبها، أو أن يخلطها بالعامّة"[١]. وقد جعل مراعاة الحال علّة لحُسن الشعر في قوله: "ولِحُسن الشعر وقبول الفهم إيّاه علّة أخرى وهي موافقته للحال التي يعدّ معناه لها"[٢].

٩- وظيفة الشعر.

للشعر تأثير مزدوج؛ فهو يحقّق الطرب، ويريح الوجدان، فيحقّق بذلك أثرا نفسيا. ويتجاوز حدود المتعة الجمالية ليحقّق اثرا أخلاقيا يتسرّب إلى روح المتلقّي وعقله[٣]. يقول: "فإذا وَرَدَ عليك الشعر للطيف المعنى، الحلو اللفظ، التامّ البيان، المعتدل الوزن؛ مازَجَ الروح، ولاءمَ الفهم، وكان أنفذ من نفث السحر، وأخفى دبيبا من الرُّقى، وأشدّ إطرابا من الغناء، فسلّ السخائم، وحلّل العقد، وسخّى الشحيح، وشجّع الجبان"[٤].

١٠-عيار الشعر (علّة حسن الشعر).

١- أن يكون الفهم (العقل) قادرا على التمييز والتقييم. يقول: " وعيار الشعر أن يورَدَ على الفهم الثاقب، فما قَبِله واصطفاه فهو وافٍ، وما مجّه ونفاه فهو ناقص"[٥]. ويعلّل وجهة نظره؛ فكل حاسّة من الحواسّ لها وظيفتها: "والعلّة في قبول الفهم الناقد للشعر الحسن... أنّ كلّ حاسّة من حواسّ البدن إنّما

---

١ عيار الشعر، (٤٤).

٢ عيار الشعر، (٥٤).

٣ نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي، (١٤٩). دراسات في النقد العربي القديم، (١٧٢، ١٧٣).

٤ عيار الشعر، (٥٤).

٥ عيار الشعر، (٥٢).

تتقبّل ما يتّصل بها ممّا طُبعت له... فالعين تألف المرأى الحسن... والأنف يقبل المشمّ الطيّب... والفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحقّ"[١].

٢- الاعتدال. وهو السرّ في كلّ جمال؛ فالانسجام بين عناصر الشعر مدعاة لقبول الفهم. يقول: "وعلّة كلّ حسن مقبول الاعتدال، كما أنّ علّة كلّ قبيح منفيّ الاضطراب"[٢].

٣- الشعر يخاطب الروح؛ ولا غرابة أن تكون النفس البشريّة معيارا يُقاس به حُسن الشعر. يقول: "والنفس تسكن إلى كلّ ما وافق هواها، وتقلق ممّا يخالفه"[٣].

٤- مطابقة الحال. وهنا تظهر نظرة نسبيّة ندر أن توجد لدى النقاد قبل ابن طباطبا؛ فإطلاق الأحكام مثل: أمدح بيت، وأهجى بيت... صار مقيّدا بموافقة الحال. يقول: "ولحُسن الشعر وقبول الفهم إيّاه علّة أخرى وهي موافقته للحال التي يعدّ معناه لها"[٤].

٥- صدق التعبير (الذاتية). يقول: "فإذا ما وافقت هذه المعاني هذه الحالات، تضاعَفَ حُسنُ موقعها عند مستمعها، لا سيّما إذا أُيّدت بما يجذب القلوب من الصدق عن ذات النفس بكشف المعاني المختلجة فيها، والتصريح بما كان يُكتم منها، والاعتراف بالحق في جميعها"[٥].

---

١ عيار الشعر، (٥٢).

٢ عيار الشعر، (٥٣)

٣ عيار الشعر، (٥٣).

٤ عيار الشعر، (٥٤).

٥ عيار الشعر، (٥٥).

وللمزيد انظر: الفكر النقدي والأدبي في القرن الرابع الهجري، (٤٨). في النقد الأدبي القديم، (١٠٢، ١٠٣). دراسات في النقد الأدبي العربي القديم، (١٦٨، ١٧٠). تاريخ النقد الأدبي عند العرب، (١٢٩).

١١-الشعر القصصي.

يُعدّ ابن طباطبا من أوائل النقاد الذين تطرّقوا لمثل هذا النوع من الشعر، فجوّز زيادة الألفاظ أو نقصانها إذا اقتضى النظم ذلك، وهو ما سُمّي بعد بالضرورة الشعرية، واستشهد بقصة السموأل بن عادياء، التي صاغها الأعشى شعرا:

"**كُنْ كالسّموأَلِ إذْ طافَ الهُمام به في جَحْفَلٍ كزُهاء الليلِ جرّارِ**"[١].

١ عيار الشعر، (٨٤).

الخاتمة:

وفي الختام يمكن القول إن القراءة النقدية لكتاب عيار الشعر أفضت إلى استخلاص ثلّة من المزايا والهنات، حيث يتّسم كتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوي بالسمات النقدية التالية:

- الأسلوب التعليمي؛ فكتاب عيار الشعر كنز ثمين، يضمّ نصائح قيّمة، صيغت بطريقة مبسّطة، لا غنى لمن أراد أن يتصدّى للشعر عنها.
- كثرة الشواهد التي تخاطب الحسّ والوجدان، دون التورّط في أحكام نقديّة قد تقود صاحبها إلى دروب الجور ومتاهات التعسّف؛ فالمسؤولية قد وُضعت على كاهل المتلقي، ولكل متلقي عياره الخاصّ.
- يختفي صوت الناقد المتعصّب للقديم، ويبرز صوت ناقد يحترم القديم ولا يمجّ الحديث المولّد.
- الشعر عنده نتاج موهبة تتغذّى بالثقافة، وتُصقل بالتجويد والتنقيح.
- القصيدة في نظره تنتج عن تآلف عنصريّ: اللفظ والمعنى.
- تفصيل القول في ضروب التشبيه يزوّد القارئ بزاد بلاغي قيّم.
- لابن طباطبا قصب السبق في موضوعات عدّة، منها: ضرورة الصدق الفني، وحدة البناء في القصيدة، الأثر النفسي والأخلاقي في الشعر، الاعتدال (الانسجام) بين عناصر الشعر، الشعر القصصي، تلازم ملكتي الحفظ والنسيان.
- في تعريفه للشعر؛ ركّز ابن طباطبا على الجانب الشكلي الموسيقي، وأغفل جانب الخيال والإبداع.
- قلّل ابن طباطبا –نوعا مّا– من أهمية علم العروض.
- خطوات بناء القصيدة حوّلت إبداع الشعر إلى عمل عقلي متسلسل.
- نظرته للتشبيه، وتمسّكه بوجه الشبه القريب يكبّل الخيال ويقيّده، مع أن التشبيه قائم أساسا على الخيال.

- ألغى ابن طباطبا الحدود بين الشعر والنثر عندما طلب من الشعراء أن يسلكوا سُبُل أصحاب الرسائل.
- طُرُق السرقة التي أهداها الشعراء قوبلت بانتقادات عدّة من النقاد.

ويظلّ كتاب عيار الشعر بحاجة إلى مزيد من الدراسات والنظرات النقدية الفاحصة لآراء ناقد امتهن الشعر، وسبق زمنه في كثير من النظريات التي تستحق أن تنال حظّها من الدرس النقدي الجادّ.

المصادر والمراجع:

١- البلاغة تطوّر وتاريخ، ضيف، شوقي، ط: الثامنة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٢م.
٢- تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، عباس، إحسان، ط: الثانية، عمّان، دار الشروق، ١٩٩٣م.
٣- ثقافة الشاعر دراسة في تراثنا النقدي، عبد العزيز، ربيع محمد، ط: الأولى، الفيوم، دار الفتح، ١٩٩٧م.
٤- الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم تاريخها وقضاياها، موافي، عثمان، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٤م.
٥- دراسات في النقد العربي القديم، عثمان، عبد الفتاح، ط: الأولى، دبي، دار القلم، ١٩٩٥م.
٦- عيار الشعر، العلوي، محمد بن أحمد بن طباطبا، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، ط: الثالثة، الإسكندرية، منشأة المعارف، د-ت.
٧- الفكر النقدي والأدبي في القرن الرابع الهجري، خفاجي، محمد عبد المنعم، رابطة الأدب الحديث، د٠ت.
٨- الفهرست، ابن النديم، تعليق الشيخ إبراهيم رمضان، ط: الثانية، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٧م.
٩- في النقد الأدبي القديم، عمر، مصطفى علي، ط: الثانية، الإسكندرية، دار المعارف، ١٩٩٠م.
١٠-لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر، د-ت.
١١-معجم الأدباء، الحموي، ياقوت، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د-ت.
١٢-معجم الغني الزاهر، أبو العزم، عبد الغني، مؤسسة الغني للنشر.
١٣-معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، أحمد مختار، ط: الأولى، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨م.
١٤-نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي، عبد العال، عبد السلام عبد الحفيظ، مصر، دار الفكر العربي، د-ت.